

## المحاسبة والتوبة



### أهداف الدرس:

يتوقع منك أخي الطالب بعد الدرس أن:

- تعرف المحاسبة والتوبة.
- تدرك أهمية المحاسبة والتوبة.
- تبين حكم المحاسبة والتوبة.
- تعدد موانع المحاسبة والتوبة.
- تبين آثار المحاسبة والتوبة.
- تفرق بين المحاسبة والتوبة.

### معنى المحاسبة والتوبة

**المحاسبة هي:** وقوف العبد مع نفسه لينظر في عمله من حيث موافقته لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وقيامه بما أوجب الله وتزودُه للدار الآخرة.

**والتوبة هي:** الرجوع إلى الله تعالى بالتزام فعل ما يحب، وترك ما يكره.

### علاقة المحاسبة بالتوبة

المحاسبة لها صلة وثيقة بالتوبة؛ وذلك لأنه إذا حاسب العبد نفسه تبين له تقصيره في حق الله فقاده ذلك إلى التوبة، وعلى هذا تكون المحاسبة سابقة للتوبة.

### حكمهما

المحاسبة عند التقصير في الواجبات وفعل المحرمات واجبة حتى يتسنى للعبد التوبة مما فرط فيه، وتستحب محاسبة النفس على ترك السنن والنوافل وفعل المكروهات.

وقد دل على مشروعية المحاسبة قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، قال الإمام ابن كثير معلقاً على هذه الآية: أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَ يُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].  
والتوبة واجبة، وقد دل على ذلك:

١ قول الله تعالى: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: ٣١]، وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾** [التحريم: ٨].

٢ قول النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

٣ أجمع العلماء على وجوب التوبة، كما نقله غير واحد من أهل العلم.

### أهمية المحاسبة

للمحاسبة أهمية كبرى تبيين في النقاط الآتية:

١ أنها طريق لاستقامة القلوب وتركبة النفوس؛ فإن زكاتها وطهارتها موقوفة على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بمحاسبتها.

٢ أنها دليل على حياة القلب وخوفه من الله؛ فغير الخائف من الله ليس عنده من الدواعي ما يجعله يقف مع نفسه فيحاسبها ويعاتبها على تقصيرها.

٣ أنها طريق للتوبة؛ وذلك لأنه إذا حاسب نفسه أدرك تقصيره في حق الله، فقادته هذا إلى التوبة.

### فضل التوبة

للتوبة فضائل كثيرة، منها:

١ محبة الله للتائبين، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة: ٢٢٢].

٢ مغفرة الله لسيئات التائبين، وإدخالهم جنته، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [التحريم: ٨].

٣ فرح الله تعالى بتوبة عبده، قال ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعمامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها - قد أيس من راحلته - فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال - من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

## شروط صحة التوبة

التوبة النصوح هي المشتملة على الشروط الآتية:

- ١ الإقلاع عن الذنب، فإن كان الذنب بفعل محرم تركه، وإن كان بترك واجب فعله.
- ٢ الندم على ما فات من مقارفة الخطايا، فمن كان إذا تذكر ذنبه فرح به، وتمنى أن تعود تلك الأيام فليس بتائب في الحقيقة.
- ٣ العزم الصادق على عدم العودة إلى الذنب، فمن ترك الذنب وفي نيته أن يعاوده غداً، فليس بتائب على الحقيقة.
- ٤ أن يكون تركها لأجل الله تعالى، لا خوف أو مصلحة أو غير ذلك.
- ٥ إن كان الذنب حقاً للأخوين لزمه إعادته إليه، إلا إن سامحه، فإن لم يجده حياً أعطاه ورثته، فإن لم يجدهم - بعد البحث - تصدق به عن صاحبه.

## ما على العبد بعد التوبة

على التائب أن يستكثر من الطاعات وذكر الله تعالى، وأن يدعو الله بالشفات على التوبة ويقبلها منه، وعليه مجانبة ما يدعو إلى معاودة الذنب من صديق، أو مكان، ويشهد لهذا المعنى ما ذكره النبي ﷺ في قصة (قاتل المته) الذي تاب، فقال له العالم: «اتطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»<sup>(١)</sup>.

## زمن التوبة

المرء محتاج إلى التوبة دائماً؛ لأنه لا يخلو أحد من تقصير في حق الله تعالى، كما قال ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مئة مرة، كما تقدم. وفي حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»<sup>(٣)</sup>.

فزمنها جميع حياة ابن آدم، كلما قارف العبد ذنباً أو قصر في واجب، قال ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.



## الزمن الذي لا تقبل فيه التوبة

باب التوبة مفتوح في كل وقت؛ إلا في وقتين هما:

١ وقت الاحتضار، لأنه إذا بلغت الروح الحلقوم لم تقبل التوبة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُدِّلْتُ وَلَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٥٨﴾ [النساء: ١٨]، وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»<sup>(١)</sup>.

٢ إذا طلعت الشمس من مغربها، قال ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»<sup>(٢)</sup>.

## الأمر الصارفة عن التوبة

١ الاعتماد على رحمة الله تعالى وعفوه مع الغفلة عن عقابه، كقول كثير من المذنبين: الله غفور رحيم، ولم يتدبروا قول الله تعالى: ﴿يَحْيَىٰ عِبَادِ اللَّهِ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٨﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

٢ التسويف، وطول الأمل، وتأجيل التوبة إلى حين الكبر.

٣ الانهماك في متع الحياة الدنيا، والغفلة عن الآخرة، ونسيان الموت، وقد قال ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هادمِ اللذاتِ»<sup>(٣)</sup>، يعني الموت، وقال: «... زوروا القبور فإنها تذكركم الموت»<sup>(٤)</sup>.

٤ استصغار الذنب واحتقاره، وقول المذنب: (أنا ما فعلت شيئاً)، ويرى فعله صغيراً لا يؤاخذ به، قال ابن مسعود ﷺ: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا» وأشار الراوي بيده فوق أنفه<sup>(٥)</sup>. وقال أنس ﷺ: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لتلدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات»<sup>(٦)</sup>.

٥ الاغترار بفعل الحسنات، ونسيان الذنوب، فيقول - معجباً بعمله -: أنا أفعل كذا، وأنا أقوم بكذا، غير متدبر لقول الله تعالى: ﴿يَعْتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ أَسْلَمْتُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٧٧﴾ [الحجرات: ١٧].

٦ مصاحبة المصيرين على المعاصي، الذين يُهَوِّنُونَ الذنْبَ بقولهم وفعلهم، ويُبْطِلُونَ عن التوبة.

٧ قنوط المُنْذِب من رحمة أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَحْيَايَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه البخاري.

## الأثار المترتبة على المحاسبة والتوبة

إذا حاسب الإنسان نفسه استفاد عدة فوائد منها :

- ١- تحقيق سعادة الدارين ونيل رضا الله تعالى ومحبته ؛ لأنه إذا حاسب نفسه علم تقصيرها، وأنه مهما عمل لم يقدّم بما طلب منه القيام به، وأنه لو قام بما طلب منه احتاج إلى شكر الله الذي منّ عليه بأن وفقه للقيام بما أمر به، وإذا أدرك تقصيره في جنب الله قاده ذلك إلى أن يبذل المزيد من الجهد، وأن يتدارك النقص، ويستعد أكمل الاستعداد ليوم المعاد؛ ومن هذه حاله ينال رضا الله ومحبته سبحانه .
- ٢- الاطلاع على عيوب النفس : لأنه بالمحاسبة لابد أن يجد في نفسه عيباً، فإذا اطلع على عيوبها مقتها في ذات الله تعالى، وأما من لم يحاسب نفسه لم يطلع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته .
- ٣- إخلاص النية لله : لأن المحاسبة وقفة خفية بين العبد وبين نفسه لا يعلمها إلا الله، وكل إنسان أدري بنفسه وبحقيقته أعماله؛ فيتعرف هل عمل هذا العمل رياء أو سمعة أو عمله لله، وهذا يقود بإذن الله إلى الإخلاص لله .
- ٤- استشعار الهدف الذي خُلِق من أجله : إذا حاسب نفسك علمت أنك خلقت لأمر عظيم وهو عبادة الله وحده، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .
- ٥- الاستقامة : فيجتهد في الطاعة ويتباعد عن المعاصي، وكلما وقع في تقصير أو زلة انتبه وتذكر فرجع إلى الطريق المستقيم، وهكذا يكون حاله حتى يلقي ربه عز وجل .
- ٦- الزهد في الدنيا : لأنه سيعرف حقيقة الدنيا وحقيقة نفسه وما تريد، وسيدرك أن الدنيا دار ممر وفناء، يزرع بها العبد ما يحب أن يراه غداً، مما يجعله ينظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة؛ فلا يتنافس أهلها عليها .
- ٧- مراقبة الله ؛ لأنه كلما همّ بمعصية حاسب نفسه، وكلما همّ بتقصير في واجب حاسب نفسه، وهذه هي مراقبة الله حتى يصل إلى مرتبة الإحسان .
- ٨- الانكسار لله تعالى والحياء منه : وهاتان عبادتان قلبيتان ينتج عنهما كثرة الأوبة إلى الله تعالى وإخلاص العمل له، والاجتهاد في الطاعة، وعدم العجب بالعمل والاعتزاز به .

## نشاط (١)

بين كيف تكون التوبة من الذنوب الآتية :



م	الذنب	التوبة منه
١	الغيبة	١، ٢، ٣، ٤ الإقلاع عنها والندم علي ما فات و العزم علي عدم العودة و تركها لله و طلب السماح منه
٢	النميمة	
٣	أكل أموال الناس بالباطل	
٤	التدليس في البيع	

## نشاط (٢)

هناك عدد من الموانع التي تصرف عن المحاسبة، تعاون مع زملائك في ذكرها :



١) التوبة: الرجوع إلي الله بالتزام فعل ما يجب و ترك ما يكره/ المحاسبة: وقوف العبد مع نفسه لينظر في عمله من حيث موافقته لأمر الله تعالى و أمر رسوله و قيامه بما أوجب الله و تزوده للدار الآخرة / تكون المحاسبة قبل التوبة وتقود المحاسبة إلى التوبة

## التقويم



ما تعريف التوبة والمحاسبة؟ وما الفرق بينهما؟

٢) محبة الله / مغفرة الله فرح الله به

٣) وقت الاحتضار/ إذا طلعت الشمس من مغربها

٤) تحقيق سعادة الدارين ونيل محبة الله /  
الاطلاع علي عيوب نفسه/ إخلاص النية لله/  
استشعار الهدف الذي خلق من أجله/ الاجتهاد  
في الطاعة/ البعد عن المعاصي/ الزهد في  
الدنيا/ مراقبة الله